جواب العزابة

ردًّا

على البهلولي علي بن أبي الحسن

تأليف:

الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل

(ت 971هـ/1563-1564م)

ضبط النص

الناصر بن حمو أويابه

جميع الحقوق محفوظة

منشورات مكتبة المسجد العتيق

بقصر غرداية

الطبعة الأولى

1437هـ - 2016م

للتواصل

029 88 90 07 /029 88 88 30

mosquelib@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

ترجمة للمؤلف:

أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بن موسى (ت: ذو القعدة 971هـ / 1564م)، علم من أعلام بلدة مليكة بميزاب، أصله من عرش أعراب أولاد نايل بالجزائر، نشأ على المذهب المالكي، ثمَّ تحوَّل إلى المذهب الإباضيِّ فصار من أعلامه.

وهو حلقة في سلسلة نسب الدين عند الإباضيَّة، إذ أخذ العلم عن شيخ زمانه بميزاب: الشيخ عمِّي سعيد الجربي، وهو من أنجب تلاميذه.

وأخذ عنه أيمَّة ومشايخ منهم: الشيخ محمَّد بن زكرياء الباروني النفوسي، وداود بن إبراهيم التلاتي الجربي، وبامحمَّد بن عبد العزيز اليسجني، وأبو زكرياء بن أفلح، وسعيد بن علي، وحيُّو بن دودو.

استقرَّ به المطاف في بلدة مليكة، ولا يستبعد أن يكون شيخه هو الذي وجَّهه إليها إحياء للعلم بها، وهي المهمَّة التي تولاَّها الشيخ عمِّي سعيد الجربي بغرداية بخاصَّة وبميزاب بعامَّة، وكان قد تولَّى مشيخة مليكة في عهد أستاذه فكان دأبهما أنَّهما يجتمعان كلَّ يوم في مشهد مشهور بين بلدتي مليكة وغرداية يعرف إلى اليوم باسم "أدْجَّايَنْ" يتذاكران فنون العلم، وكانا متحابَّين في الله.

اشتهر أبو مهدي عيسى بالعلم والفهم والاجتهاد والورع، وأوتي ذكاء وعارضة قوية، فكان ينافح عن اختياره للمذهب الإباضي، ويوضِّح للأيمة حججه واقتناعه بهذا الاختيار. كما دافع عن زميله الشيخ أبي محمَّد عبد الله المرزوقي، الذي تبنَّى المذهب الإباضي مثله.

له تآليف عديدة في مختلف فنون العلم، من آثاره:

مجموعة من الرسائل والردود والأجوبة منها: ردُّه على البهلولي أبي الحسن البهلولي الذي كفَّر الإباضيَّة.

رسالة بليغة في الردِّ على بعض الطاعنين في المذهب الإباضيِّ يدافع فيها عن زميل له تمذهب بمذهب أهل الحقِّ والاستقامة، وهذا سنة 929هـ/ 1522م.

رسالة إلى أهل وارجلان: يدعوهم فيها إلى الصراط المستقيم.

جواب في قضيَّة خلق القرآن.

جواب لأهل عمان: على أسئلة وردت إليه في الأصول والفروع.

رسالة في معنى التوحيد: والوحدانيَّة والألوهيَّة والربوبيَّة.

رسالة في إعراب كلمة الشهادة.

موازين القسط.

وله شعر رائق جميل، منه:

قصيدة في المواعظ والأدب والنصائح والزهد.

مقطوعتان شعريَّتان في العقيدة.

منظومة وصيَّة معشر الشبَّان، ولها شرح لمجهول.

يقول أبو اليقظان وله: **ديوان شعر.**

كان الشيخ أبو مهدي عيسى من الرافضين لطرد أولاد عبد الله من مليكة، ولما غلب على أمره، وأخرِج هؤلاء فعلاً اعتصم في داره اثنتي عشرة سنة لم يخرج للناس.

وتروي عنه كتب السير كرامات عديدة.

لما توفِّي اتُّخذت روضته – في المقبرة المعروفة باسمه إلى اليوم «مقبرة الشيخ سيدي عيسى» – مقرًّا للعزَّابة عند انعقاد مجلسهم الرسميِّ للقصور السبع.

خلفه في مشيخة بلدة مليكة أحد تلاميذه الشيخ حيُّو بن دودو، بعد وفاته 971هـ / 1564م.

معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) لجمعية التراث (1/ 471)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الحمد لله الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الواحد القهار، العزيز الجبار، الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، الدائم الذي لا يحتويه الزوال ولا يصيبه الفناء، الشاهد على كل شخص بما اكتسب وجنا، الواحد الذي أحاط علمه بالأشياء، فسواء عنده من بعُد ودنا، السميع الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويريحه من الضنا، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، يضل من يشاء ويهدي من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد، يقيم للصادقين منهجا، ويجعل للمتقين مخرجا ويهوّن عليهم الأمور الشداد، أما سمعته يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: 02] فتباً بعد هذا لمن يعتمد على أحد من العباد، يقهر الملوك ويجبر الصعلوك ويعتق المملوك، ويجمع بين الأضداد، المبدئ المعيد، الفاعل لما يريد، الذي أوضح لنا دينه القويم ومنَّ علينا

بالقرآن العظيم، الشافع المشفع بين يدي الرب الرحيم، المنزّل على حبيب الله أبي القاسم النبي الكريم، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تزلفنا إلى جواره في دار النعيم، مع المعتصمين بحبل الله الذين هُدوا إلى صراط مستقيم.

أما بعد حمد الله على إنعامه، والصلاة والسلام على محمد وآله و عترته أهل الشرف والكمال، وعن تابعيهم وتابعي تابعيهم أبدا بالغدو والآصال، أماتنا الله على سبيلهم ونجانا من البدع والأهواء والإضلال، فمن عزابة بني مضاب أي بني مصعب حفظهم الله تعالى ورعاهم الحاضر بلسانه والغائب بحاله، إلى الشيخ المكرم الوجيه الأعظم أبي علي بن الشيخ أبي الحسن علي البهلولي: سلام عليك وعلى من تحيط به عنايتك ومن لاذ بك أهلا وولدا، فقد ورد علينا كتابك وما تضمنه خطابك مشتملا على العقيدة المالكية، ومتضمنا لذكر مسائل جرى فيها الخلاف بين الأمة، والعجب منك أيها السائل، أيها الشيخ كيف نسبت المسلمين العالمين بالله الموقنين إلى الكفر والتكذيب للكتاب والسنة وإجماع الأمة مرة بعد مرة، من غير مشاهدة عيان ولا شهادة عدل وبيان، وأنت تتلو قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء: 36] وتنسبنا إلى قدرية المعتزلة الذين هم مجوس هذه الأمة، وبيننا وبينهم فصول فاصلة وأدلة قاطعة، كما سنبينه إن شاء الله في جواب المسائل الآتية، وكذلك بغض الصحابة رضوان الله عليهم، وكل ذلك ليس بقولنا ولا بمذهبنا، بل قلت ذلك بمجرد إخبار الفسقة النمامين الفجرة الكذبة الواشين، لا بصيرة لهم بالدين ولم يعلموا علم اليقين، يلقون في قلبك وفي قلوب العباد أن بني مصعب ليسوا على شيء من الدين، ولا على عقيدة صحيحة، ولم يقلدوا أحدا من الأئمة وأنهم ينكرون الصحابة إلى غير ذلك من الافتراء على المسلمين بغير علم، فاستمعت إليهم بأذنيك ودخلت وسوستهم في قلبك غافلا عن قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا﴾[الحجرات: 06] تولى الله للمسلمين حقهم منهم وبيننا وبينهم يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون، فسارعت أيها الشيخ إلى العتاب وتجاسرت إلى السب في الخطاب، وذلك أمر عظيم في الدين، وقد قال ﷺ: (**ليس الشتم بالعبادة**). وقال أيضا: (**المؤمن لا يكون لعانا ولا**

طعانا). فنعوذ بالله من الكفر والتكذيب لأنهما إخراج من الملة ولا ينسبان إلى مسلم إلا بأمر بيّن.

وأنت أيها الشيخ أحق لك أن تتبع أوائلك وعلمائك فإن الاتباع أولى من الابتداع، وأن تتكلم بالعلم وتسأل بالعلم فإنك قدوة في تلك البلاد ومأوى للعباد.

وقد حكي عن أبي المعالي عالم من علمائكم وقد رغب إليه الفقيه أبو محمد عبد الحق في مثل هذه المسائل فهرب له من ذلك واعتذر بأن الغلط في مثل هذا يصعب موقعه، لأن إدخال كافر في الملة وإخراج مسلم منها عظيم في الدين، هذا كله كلام أبي المعالي.

وأشار أيضا القاضي إلى أن هذه المسألة من المعوصات وعلل ذلك وقال: لأن القوم لم يصرحوا بنفس الكفر، والتكفير بالمآل هو موضع الإشكال إذا ذكر، هذا كله في شرح غريب الحديث أظنه للقاضي عياض.

انظر هذا التحرز العظيم والتوقف الجسيم فمزقته أنت في أسرع من لمحة عين، وأعظم من هذا أيضا أنك ذكرت في كتابك وقلت: فمن تاب

منكم فهو أخونا في دين الله ... إلى قولك ومن لم يقبل هذا الحق وما عليه الأمة فقد حل دمه ووجب في النار خلوده، ليت شعري بماذا أحللت دماء المسلمين، وإباحة الدماء والأموال والأعراض أمر عظيم، وقد قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: 05]. وقال ﷺ: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: "لا إله إلا الله" فإذا قالوها فقد حقنوا مني دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم إلا بحقها ...**) **إلى آخر الحديث**. وقال أيضا في خطبة الوداع: (**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا** ...) وقال أيضا: (**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بأحد ثلاث: بيع عن تراض، وهبة عن تراض، وميراث من كتاب الله**). وقال أيضا: (**القليل من أموال الناس يورث النار، قيل: وما القليل يا رسول الله، فوضع إصبعه في الأرض فالتصق به شيء من التراب فقال: هذا قليل**). في مثل هذا من الآيات والأحاديث كثير لا نطيل بذكرها.

والدماء والأموال والأعراض من الكليات الخمس التي لم يبحها في دين من الأديان فأين أنت من هذه الآيات المنصوصة فإن كنت عالما بها فأنت داخل في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14] وإن كنت جاهلا فأنت داخل في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَاتِهِمْ تَاوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[يونس: 39] ومصداق قول القائل إنما منعهم من الوصول تضييع الأصول، فلما بطلوا تعطلوا.

وأعظم من هذا كله وذلك أنك تذكر في كتابك مرة بعد أخرى وتقول: إنكم كذبتم الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فإن كنت تريد بالأمة المذاهب الأربعة كما هو ظاهر قولك فقد نقضت قوله ﷺ: (**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة...**) الحديث، لأن قوله هذا جعل الثلاث والسبعين فرقة كلهم أمته وأنت تريد غير هذا، فأين تكذيبنا للإجماع وكيف يصح الإجماع مع وجود الخلاف، ولم تقل قولا ولله الحمد في جميع ما أعددت

من المسائل الخلافية إلا وقد وافقنا كثيرا من فرق الأمة كما سيبين إن شاء الله.

والذي يظهر من قولك أنك لم تطلع على المذاهب وأصول الاختلاف، فكتبنا لك هذا الكتاب ليتبين لك الخطأ من الصواب، مشتملا على العقيدة الوهبية الإباضية، ومتضمنا للجواب على المسائل الآتية بالأدلة القاطعة والبراهين الواضحة والحجج المنيرة الساطعة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة.

العقيدة الإباضية

فنبتدئ أولا بذكر العقيدة ثم نثني إن شاء الله بذكر الأجوبة فنقول لك:

أما عقيدتنا: فنحن نشهد أن لا إله إلا الله واحد غير منقسم في ذاته ولا معه ثان في ألوهيته، وأنه موجود من غير مشاهدة، قديم بلا بداية أوجد منها نفسه دائم بلا نهاية ينتهي إليها، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، عالم بما كان وما يكون، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه شيء في ظلمة ولا ضياء، قادر بلا تكلف ولا مشقة، متكلم بلا لسان ولا شفة، سميع بلا أذان ولا أصمخة، بصير بلا جفن ولا حدقة، حي بلا تنفس ولا رطوبة، عالم بلا تعلم ولا دراسة، وأنه إله كل شيء وخالقه ومنشئه وموجده، خلق كل شيء فقدره، واخترع الإنسان وصوره، ويعلم ما توسوس به نفسه وما يجلب إليه حسه، مريد لكل كائن من خير وشر وجميع ما يجري على العالم من نفع وضر، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، صادق في وعده ووعيده، عدل في قضائه وحكمه، آمر بطاعته ناه عن معصيته، مستو على عرشه وجميع خلقه

بالقهر والغلبة، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، فهذا ما يجب ويثبت له.

وأما ما يستحيل في حقه تعالى: الحدوث والعدم والتغيير والفناء في الحال والاستقبال، بل هو موجود على الإطلاق غير مقيد بزمان ولا مخصوص بجهة ولا مكان، بل هو في كل مكان بلا حواية ولا اجتنان، لا تحيط به الجهات والأقطار ولا تكيفه العقول ولا الأفكار، منزه عن جميع الأماكن والجهات، غني عن جميع الكائنات، متعال عن الحلول على العرش والسماوات، ليس بمتصل فتمسه صفحات الأجرام، ولا بمنفصل فتدركه لمحات أبصار الأجسام، ولا يوصف بنوم ولا سبات، تعالى عن العيوب، ليس له شريك ينازعه، ولا كفؤ يعادله، ولا مثل يماثله ولا نظير يشاكله، ولا وزير يوازره ولا ند يجاوره، ولا تكيفه العقول ولا تمثله النفوس ولا تلحقه الأوهام والأفكار، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، ليس بجوهر ولا عَرض ولا بذي طول ولا عُرْض، ولا بذي صورة ولا شكل ولا هيئة ولا مثل، بل هو الواحد الأحد العادل الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، لا تحله الحوادث والآفات، ولا تلحقه

النواقص والعاهات، ولا يليق به الظلم، ولا يجور في الحكم، بل قضاؤه كله حكمة وعدل وامتنان وفضل، كل أفعال البرية بقضاء منه ومشيئة. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الأنعام: 115] ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، ﴿يُضِلُّ مَنْ يَّشَآءُ وَيَهْدِي مَنْ يَّشَآءُ﴾[النحل: 93] ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء: 23] ﴿هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[غافر: 65]؛ فكل صفة مذمومة فهي عن الله منفية.

وأن محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب عبده الأمين ورسوله المبين إلى الثقلين أجمعين، وأنه بلغ رسالة رب العالمين وعبد ربه حتى أتاه اليقين، وصدع بأمر ربه مجتهدا في تبليغه ناصحا لأمته حريصا على هداية الخلق أجمعين، رؤوفا بالمؤمنين رحيما بالمتقين، آخذا بالعفو وآمرا بالمعروف معرضا عن الجاهلين، كاظما لغيظه شاكرا لأنعم ربه، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة لكن يعفو ويصفح، أشد الناس تواضعا في غير ذلة، وأسكتهم في غير كبر، وأبلغهم في غير تطويل، آكلا ما وجد لا يسأل عما فقد، لابسا ما تيسر له، راكبا ما

أمكنه، ويردف خلفه، مجيبا دعوة العبد والأمة، ويجالس أهل الضعف والمسكنة، لا يحتقر فقيرا لفقره، ولا يهاب ملكا لملكه، قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة الكاملة والأخلاق التامة، هاشمي النسب مبعوث إلى العرب، مولده بمكة وهجرته بطيبة وقبره بالمدينة، وملكه بالشام، صلى الله عليه وعلى آله مدة الليالي والأيام، وما جاء به حق من عند الله.

ونؤمن بالملائكة الكرام البررة، وجميع الأنبياء والرسل، وجميع الكتب التي نزلت على جميعهم، ونؤمن بالموت و غمراته وعذاب القبر وامتحانه، والبعث والحساب والميزان والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار، وإن الله خالق لأفعال العباد، ونؤمن بقواعد الدين وشعائره من الصلاة والزكاة والحج والعمرة والصوم والجهاد وحقوق الجار وابن السبيل وما ملكت اليمين، وحق الصاحب وغير ذلك من خصائل الإيمان والإسلام، وسائر العقائد الصحيحة والأقوال الصريحة والأفعال النجيحة المؤيدة بالبراهين القاطعة والأقوال الساطعة.

ونحن و الحمد لله على الدين الحنفي دين الإسلام المبعوث به النبي سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، نحن الآمرون بالمعروف والناهون

عن المنكر، الضعيف عندنا قوي حتى يأخذ حقه، والقوي ضعيف ذليل حتى يؤخذ منه الحق، والكبير والصغير والقريب والبعيد عندنا في حق سواء، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة: 54] لا نخاف في الله لومة لائم، والبار التقي كريم عندنا، والعاصي الآبي هين لدينا، والربا والريبة والرائب لا يحوم من ذلك شيء في ساحتنا، مساجدنا عامرة بأنواع ذكر الله تعالى من دراسة العلم والقرآن والختمات، و محاضرنا مرتبة دائما ليلا ونهارا، فهذه عقيدتنا وما عليه معولنا واعتمادنا، اختصارا من غير تطويل.

و مذهبنا ولله الحمد مذهب أسس على التقوى من أول يوم، تنقله جماعة عن جماعة عدول ذوو ورع في الدين، أهل علم وهدى وبر وتقوى، خلف عن سلف من لدن رسول الله ﷺ إلى هلم جرا، كما قال ﷺ: **(يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الضالين)**. ولسنا ولله الحمد كمن قلد غيره من غير حجة ولا برهان، ويقول كما قال المشركون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا

عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[الزخرف: 22] ومقتدون، بل أصحابنا والحمد لله قلد بعضهم بعضا بوسيلة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وسنة رسول الله ﷺ المأثورة الصحيحة، وكان أوائلنا رحمهم الله دونوا ما وصل إليهم من الصحابة من حديث رسول الله ﷺ عدة كثيرة فقهاء علماء ولم يكونوا انتدب كل واحد منهم على حدة، فخلصوه و ميزوه من الشك والشبهات مخافة الحدث، فانتخبوا ما وافق كتاب الله تعالى وما اجتمعت عليه الأمة والتواتر، لأن الآحاد والمسند مظنون، وقد قال عليه السلام: **(ما من نبيء إلا وقد كُذب عليه من بعده ألا وسيكذب علي من بعدي فما آتاكم عني من حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فعني وما خالفه فليس عني)**. وقال: **(من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)**. وقال: **(وكيف أقول بخلافه وبه هداني ربي)**. وقال للسائل عن العلم: **(تعلم القرآن ومِلْ معه حيث مال)**. وقال الله عز وجل لنبيئه عليه السلام: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الزخرف: 43] ونحن على ذلك كل ما أتانا من حديث وبلغنا عرضناه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله أخذنا به، وما ليس في كتاب الله وله معنى حملناه على أحسن المذاهب، وذلك كثير، ولكن نذكر لك حديثا واحدا تستدل به على غيره لأنك أتيت به دليلا على الرؤية، وذلك أنه رُوي عنه عليه السلام أنه قال: (**إنكم لترون ربكم لا تضامون في رؤيته كما لا تضامون في القمر ليلة البدر**). ومعناه عندنا إن لكم ربا لا تشكون فيه كما لا تشكون في القمر ليلة البدر، لو كان القول على ظاهره لكان الله مدورا مستديرا محدودا كالقمر - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وكان أوائلنا من التابعين وتابع التابعين منهم حملوا الحديث عن ابن عباس والحسن البصري وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وأبي هريرة وعائشة أم المؤمنين وعقبة بن عامر وغيرهم من الصحابة دونوا ذلك وصححوه والذي عن هؤلاء مثل جابر بن زيد وصحار العبدي وجعفر بن السماك العبدي و أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وضمام بن السائب وابن عباد وعبد الله بن عبد العزيز وأبو المؤرج

ونظراءهم كثير فقهاء علماء لم يقلدوا إلا كتاب الله وما وافق من حديث رسول الله ﷺ، وأما أوائلكم أنتم فإنهم تركوا السند وتركوا الحديث مرسلا وعمد كل واحد إلى ما صح عنده ودوّنه ولم يصاحبه أحد فيما دوّن مثل مالك في الموطإ وما انتخبه مسلم والبخاري وغيرهم من أوائلكم.

وأما قول من قال المذاهب أربعة: فذلك قول ليس له مسند ولا برهان إذ لم تذكر الأربعة في القرآن، ولا نص عليها صاحب الشرع والبيان، بل قال بخلاف هذا القائل: (**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن إلى النار ما خلا واحدة ناجية...**) الحديث. ولم يقع الإجماع من الصحابة على الأربعة بل كانوا يجتهدون على الوقائع وغيرها فمن تمسك بهداهم نجا لقوله ﷺ: (**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**). وإنما حدث المذاهب الأربعة في القرن الثاني في زمان الرشيد، فمنهم من تبع ومنهم من ترك، فالنبي ﷺ ذكر واحدة ناجية، وأنتم تدعون أربعا: المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية، فقد خالف قولكم أصلكم، وتتفاخرون

بأركان الكعبة بأنكم أيمة إليها، وكان المشركون قبلكم بألوف من السنين غلبوا عليها ونصبوا في البيت الأوثان فيا سبحان الله كيف يقول هذا عاقل، ولكن الفرقة الناجية من الثلاثة والسبعين هم أصحابنا إن شاء الله كما أشار إليهم عليه السلام بقوله: **(لن تزال طائفة من أمتي بأرض المغرب على الحق ظاهرين لا يأتيهم من نواهم السوء حتى يأتي وعد الله)**.

قال الشيخ أبو يعقوب رحمه الله: وذلك أن جميع فرق المغرب لها دول وولايات أياما مخصوصة غير الإباضية لم تتبدل ولم تتغير مع كل فرقة وَلِيَتْ المغرب، وهم آمنون في بلادهم ولم يضرهم من نواهم السوء، أولهم المالكية إنما حدثت في المغرب وكانت لها سلطنة سنة تسع وأربعين وأربع مائة، وقبل ذلك الواصلية درجة لا تذكر، والشيعية قبلهم عبيد الله بن أحمد ولوا في المائة الرابعة فلم يستتموها فرحلوا إلى مصر، ومنهم بنو أمية ولوا سنة ثمان وثلاثين ومائة بأرض الأندلس فانقرضوا سنة أربع مائة من الهجرة، ومنهم و منهم ومنهم؛ فما من أحد منهم استكمل الخمسمائة لأحد

عشر من الهجرة إلى الآن إلا نحن، ونحن بحمد الله في العافية مع كل دولة، صنع الله ولطفه الذي أتقن كل شيء اهـ. مختصرا

وفضائل مذهبنا ولله الحمد لا تحصى قديما وحديثا، فلو ذكرنا أكثرها في الكتاب لرأيت العجب العجاب، ولكن نذكر لك بعضها وذلك أن رسول الله ﷺ صدع وبشر ببعض فضائل أهل مذهبنا على رؤوس الأشهاد فقال: **(الصخرة لأهل عمان بعرفات)** وذلك معروف إلى اليوم ولا ينكره إلا متجاهل وذلك دليل الكرامات، وقد صح أيضا قوله عليه السلام بأوضح البيان: **(ليكثرن وراد حوضي من أهل عمان)**؛ فيالها من بشارة ما أعظمها وإشارة ما ألطفها، وذكر أيضا فضائل الفرس من العجم، وذلك لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ مَنْ يَّرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَاتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَالِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة: 54] أشار إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه وكان جالسا بين يديه، فقال: **(لعلهم أن يكونوا**

من رهط هذا). وعنه أيضا ﷺ أنه قال: **(إن لله كنزا ليس من ذهب ولا من فضة ولكنه في بطون أبناء فارس)**. وذكر ابن داب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مشى ذات يوم أي مرة مع المغيرة بن شعبة، وكان المغيرة أعور، فقال عمر: هل أبصرت بعينك هذه قط شيئا؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، قال: له عمر سيعور الإسلام كما اعورت ثم ليعمين حتى لا يدرى من له ولا عليه فإذا أتى عليه مائة وستون سنة رد الله عليه سمعه وبصره بوفد كوفد الملوك، طيبة أرواحهم صالحة أعمالهم، فقال له المغيرة: من أي ماء يا أمير المؤمنين أمن ماء الحجاز أم من ماء العراق أم من ماء الشام، فولى عنه عمر وتركه، فوليت الفرس تاهرت على رأس ستين ومائة وهم أئمتنا الخمسة رحمهم الله معروف ذلك غير منكور، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: **(لو تعلق الدين بالثريا لنالته رجال من العجم وأسعدهم به فارس)**؛ وروى زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ رءا رؤيا وقصها على أصحابه فقال: رأيت غنما سودا خالطتها غنم بيض فأولتها أن العجم يدخلون الإسلام فيشاركونكم في نسائكم وأموالكم فتعجبوا

من ذلك وقالوا العجم تدخل بلادنا يا رسول الله! فقال: **(اي والذي نفسي بيده لو أن الدين تعلق بالثريا لنالته رجال من العجم وأسعدهم به فارس)**. ومن طريق آخر عنه أنه قال: **(لو تعلق العلم بالثريا لنالته الفرس)**. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الفتح: 16] هم فارس، مثل هذا كثير لا نطول بذكره.

وكذلك فضائل البربر من العجم مثل الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ، وما أوصاه به جبريل عليه السلام على البربر، وذلك معلوم غير مجهول، وكذلك الحديث الذي ذكره عمر رضي الله عنه، ولولا خوف الإسهاب لذكرنا لك الحديثين ولكن فيهما طول فتركناهما، فلما كانت هذه الأخبار في عصابة من أهل المغرب رجونا أن يكونوا أيمتنا ومن اقتفى ءاثارهم وأن يكونوا أهل تلك الفضيلة.

قال البكري: فمن حين وقعت الفتنة فإنما نقاتل نحن العرب على الدينار والدرهم، وأما البربر فإنما يقاتلون على دين الله ليقيموه، ورفع الحديث إلى ابن مسعود رحمه الله قال: إن آخر حجة حججنا قام ﷺ خطيبا فقال: **(يا أهل المدينة ويا أهل مكة؛ أوصيكم بتقوى الله وبالبربر فإنهم سيأتونكم بدين الله من المغرب وهم الذين يستبدل الله بكم إذ يقول** ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[محمد: 38]. والذي نفس ابن مسعود بيده لو أدركتهم لكنت لهم أطوع من إمائهم وأقرب من دثارهم). ومثل هذا كثير ﴿ذَالِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة: 54]" وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد الله إرشاده وهداه، ومن يضلل الله فماله من هاد، وإنما جرّنا إلى ذكر هذا إزالة اللبس وتكذيبا لقول من يقول إن بني مصعب ليسوا على شيء من الدين.

هذا ولنرجع إلى ما قصدنا من ذكر الأجوبة على المسائل المذكورة فنثبت الثابت منها وننفي النافي إن شاء الله، لأن بعضها ليس من اعتقادنا ولا من قولنا بل على عكس ما ذكرت في الكتاب، اعتمادنا ومعولنا كما

سيتضح ذلك عن قريب إن شاء الله، والله حسيب من ينسب إلينا ما ليس من مذهبنا كما قال بعض المشايخ رحمهم الله حين قيل: إن الناس يقولون عليك ما لم تقل؛ فقال: من قال ما قلته علي فقد نجا إن شاء الله ومن قال علي ما لم أقله فحسيبه الله ورسوله.

مسألة الصحابة

فنبدأ بمسألة الصحابة رضوان الله عليهم وذلك قولك: بلغنا عنكم أنكم تبغضون بعض الصحابة؛ فيا سبحان الله كيف نبغض الصحابة مع ورود النصوص في فضائلهم والثناء عليهم كتابا وسنة يأبى الله ذلك والمسلمون، بل هم عندنا في الحالة التي ذكرهم الله عليها من العدالة والنزاهة والطهارة والثناء والمدحة؛ قال الله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: 110] ﴿وَكَذَالِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ التِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَّتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَّنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الذِينَ هَدَى

اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: 143] ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح: 29] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَاخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[الفتح: 18-19] إلى غير ذلك من الآيات وهم بالحالة التي وصفهم بها رسول الله ﷺ إذ قال: **(إن الله اختار لي أصحابا فجعل لي منهم أصهارا وأختانا فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)**. وقال أيضا: **(لا تؤذوني في أصحابي فلو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه)**. وقال أيضا: **(اقتدوا بالذين من بعدي" وقوله: "عليكم بسنتي وسنة**

الراشدين الخلفاء من بعدي). وقال أيضا: **(أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم)**.

وغير ذلك من المدح والثناء عليهم، اللهم زدنا محبتهم واحشرنا في زمرتهم يا أرحم الراحمين، بل لهم السهم الأوفر وسلكوا الطريق الأقصد ولزموا السبيل الأرشد، وهم أيمة الثناء ونجوم الهدى، أعلام الدين ومنار الإسلام، كلامهم حكمة وسكوتهم حجة ومخالطتهم غنيمة والاستينار بهم حياة، والاقتداء بهم نجاة، ويل للزايغ عن طريقتهم الراغب عن سبيلهم.

وروي عن الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل رحمه الله أنه قال: كان أبي رحمه الله ينهى من ينكر ما جرى بينهم إلا من يذكر عنهم خيرا رضي الله عنهم ورحمهم فهذا اعتقادنا في الصحابة رضي الله عنهم.

مسألة خلق الأفعال

[وأما مسألة خلق الأفعال] وذلك قولك مخاطبا لنا ومنها قولكم: أن العبد [خالق] أفعاله ومعاصيه وطاعته إلى آخر كلامك حاشى لله أن نقول بخلق أفعالنا، أيقول هذا عاقل بعد قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: 96] وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الزمر: 62] بل أفعال العباد عندنا مخلوقة لله تعالى لا توجد إلا بعلمه قبل وجودها وقضائه وقدره وإرادته ومشيئته سابقة فيها، ومنا القصد إليها بقلوبنا والكسب والاكتساب والحركة والسكون بجوارحنا، خلافا للمعتزلة الذين نفوا القدر على الله تعالى وانتحلوه لأنفسهم ونسبوا إلى الله تعالى أنه يكون في ملكه ما لا يريد وأنه يعصى مغلوبا بعد قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة: 13] وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير: 29]. في أمثالها كثير من كتابه سبحانه، وخلافا للمجبرة إذ نسبوا إلى الله سبحانه الجور بأنه يعذبهم ويثيبهم بما لم يفعلوا، وأنهم لا سبب لهم في أفعالهم وهم مجبورون عليها بعد قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[فصلت: 46] وقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الطور: 16] في أمثالها في كتاب الله سبحانه لا تحصى.

ونعتقد أن من مات مقتولا فقد مات بأجله، ومن أكل حراما فقد أكل رزقه كما هو في كتبكم خلافا للمعتزلة، وضلالهم فيهما مبني على ضلالهم في زعمهم يخلقون أفعالهم؛ هذا ما نحن عليه مختصرا بلا تطويل.

وقد ظلم من نسب هذه المسألة إلينا لجهله بأصول المذاهب وأصول الخلاف، وتلك مسألة اعتزالية قدرية، وبيننا فصول فاصلة وأدلة قاطعة و مسائل متباينة، فلولا التطويل لشرحنا لك ذلك كما يجب وينبغي، وقد قال رسول الله ﷺ: **(طائفتان من أمتي لا تنالهما شفاعتي وهما ملعونتان على لسان سبعين نبيئا قبلي القدرية والمرجئة)**. وقال أيضا: **(المرجئة يهود هذه الأمة والقدرية مجوسها)**.

ونحن نذكر لك إن شاء الله مشاكلة القدرية للمجوس، وكذلك مشابهة المرجئة لليهود، قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: وأما تشبههم ومشاكلتهم يعني القدرية للمجوس فلأن المجوس قالوا: إن الله يخلق الخير والشيطان يخلق الشر، فالخير كله من الله والشر كله من الشيطان، وزادت القدرية

على المجوس لأن المجوس إنما نفوا عن الله سبحانه خلق الشر، والقدرية نفوا خلق الخير والشر؛

وللشيخ أبي يعقوب زيادة في هذا الحديث فقال: القدرية مجوس هذه الأمة لادعائهم إلهين اثنين وذلك إنما شبهوا بالمجوس من وجه آخر إلى آخر كلامه، فلا نطول بذكره مع ظهور قصده.

وأما المرجئة فقد قال الشيخ أيضا رحمه الله: أقول والله ولي التوفيق: إن للمرجئة في اليهود أربع مشاكلات:

إحداها: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ اَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 80] ﴿ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[آل عمران: 24]، وقالت المرجئة: لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، لأن من قال إن أهل الكبائر يخرجون من النار فقد صرح أنه لا تمسهم النار إلا أياما معدودة، ومن قال ذلك فقد شاكل اليهود فصار من المرجئة ومن يهود هذه الأمة.

الثانية: إن اليهود سألوا موسى عليه السلام ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾[النساء: 153] والمرجئة قالوا: جائز أن يُرى في الدنيا وواجب أن يُرى في الآخرة، فصاروا هذه الأمة من هذا أيضا.

الثالثة: مشاكلتهم لابن صوريا من اليهود حين قال: ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[الانعام: 91]. وذلك إن رسول الله ﷺ قال له: **(أنشدك الله أما تقرأ في التوراة إن الله يبغض الحَبر السمين)**. وكان ابن صوريا شابا سمينا أعور، فقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، وكذلك المرجئة في نفي خلق القرآن، فإذا قيل لهم قال الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[الدخان: 03] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر: 01] قالوا: العبارة عنه فأنكروا نزول القرآن وردوا شهادة الله سبحانه وشهادة الملائكة عليهم السلام، قال سبحانه: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾[النساء: 166].

قال الشيخ أبو يعقوب: فسبحان الله من قوم أنكروا نزول القرآن كأهل الأوثان، وقد أنكرت المرجئة نزول القرآن كما أنكر ابن صوريا من اليهود نزول التوراة.

الرابعة: التشبيه الفاحش والتجسيم المتناقض الذي كان في اليهود طباعا وكان في المرجئة، وقد اقتسموا إلى مشبهة ومجسمة ويجمعهم كلهم أصحاب الحديث اهـ.

وتركنا ذكر ذلك كله خوف الإطالة ولننزه كتابنا من فحشهم وسوء اعتقادهم، والأمر ما قال فيهم رسول الله ﷺ: **(لُعنت المرجئة على لسان سبعين نبيئا قبلي؛ قيل: وما المرجئة يا رسول الله؟ قال: الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل)**. وذلك أن الناس اختلفوا في الإيمان والكفر، فقالت المرجئة: الإيمان قول بلا عمل، فمن أتى بالقول وضيع العمل فهو مؤمن، وإيمانه كإيمان جبريل وميكائيل ولو أتى بجميع المحارم، ثم اختلفت المرجئة فيما بينهم على ثلاثة أقوال:

فقال جهم بن صفوان ومن تبعه، وأبو الصيد الخراساني ومن وافقه، ومحمد بن زياد وشيعته: الإيمان المعرفة، واختلفوا بينهم ما يكفي من المعرفة بحسب المتعلق.

وقال أبو حنيفة ومن تبعه، وعلي الخياط، وأبو شمر ومن وافقه، وبشر المريسي ومن معه: الإيمان من مجموع القلب واللسان، وكثر الاختلاف بينهم هل هو التصديق بالجارحتين أو هو معنى واحد.

وقال غيلان ومن قال بقوله: الإيمان الإقرار والتصديق، والمعرفة ليست بإيمان.

وقال جميع الإباضية وجميع الخوارج وجميع المعتزلة وجميع الحشوية وعبد الرحمان بن كيسان و أيمة الحديث وأكثر الفقهاء: الإيمان: الاعتقاد والإقرار والعمل.

وقلتم أنتم الأشعرية: الإيمان قول وعمل، ولوترك العمل فهو مؤمن، فما فائدة قولكم: الإيمان قول وعمل، فعزلتم عن قول المرجئة برواح الفم، ورجعتم إليهم حيث قلتم: كل من عمل كبيرة فهو مؤمن، لنا منكم شهادة على قوله ﷺ حين قيل له: ومن المرجئة يا رسول الله؟ فقال:

(**الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل**). ولئن شهدتم بها شهدتم على أنفسكم لأنكم منهم حيث قلتم: لا يكفر أحد من أهل القبلة، ولنا عليكم وعليهم حجة من كتاب الله؛ فلنرجع إليه ونجعله نصبا بيننا وبينكم، وحديث الرسول المتفق عليه، وقد قال رسول الله ﷺ: (**لا يزني الزاني وهو مؤمن**). وقال أيضا: (**إذا زنى الزاني سلب الإيمان**). وقلتم أنتم: يزني وهو مؤمن؛ يا سبحان الله أيكون الزاني ولي الله؛ والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُومِنِينَ﴾[آل عمران: 68] ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: 62] ومع ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَالذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ـاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَالِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، اِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان: 68-70] وقلتم أنتم: ولي الله مؤمن لا يعذب مع الإصرار دون التوبة والاستغفار، وقد قال رسول الله ﷺ: (**الكبائر سبع: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله،**

والسحر، وقذف المحصنات، والزنا..) الحديث. والكبائر ينوب بعضها عن بعض فمن أصر على كبيرة فقد خرج من الإيمان ودخل في الكفر، وقد قال تعالى: ﴿وَالذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً اَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور: 04] أيكون المؤمن فاسقا عند الأشعرية وهذا راد لقوله تعالى، وقال عليه الصلاة والسلام: (**عدلت شهادة الزور الشرك بالله**). والله تعالى يقول: ﴿فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الاَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج: 30] أيكون مؤمنا مع قول الزور، ويكون من زنى بذوات المحارم من أمه وابنته وأخته مؤمنا؛ ويكون الحاكم بغير ما أنزل الله مؤمنا بعد قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة: 44] والكافرون والفاسقون، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُومِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾[السجدة: 18] وقال: ﴿وَأَمَّا الذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾[السجدة: 20] وقال: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا﴾[الانسان:31] وقال: ﴿قُلَ اَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَالِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الذِينَ كَفَرُواْ وَبِيسَ

الْمَصِيرُ﴾[الحج: 72]. وقال : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: 97]. وقال رسول الله ﷺ: **(من مات وهو يستطيع الحج ولم يحج ولم يوص به فليمت يهوديا أو نصرانيا وإن شاء فليمت موتة جاهلية، فإن الجنة قد حرمت عليه كما حرمت على اليهود والنصارى)**، وقال: **(الرشوة في الحكم كفر)**. وقال: **(من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد)**. **(ومن أتى امرأة في دبرها فقد كفر)**. **(ولعن الخمر ولعن معها عشرا عاصرها ومعتصرها وشاربها..)** الحديث. **(ولعنت النائحة ...)** الحديث، وقال: **(لعنت النامصة والمتنمصة ...)** الحديث. أيلعن المؤمن في هذا كله، وقد قال: **(من لعن المؤمن كمن قتله)**. وقال: **(ليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة)**. وقال: **(من ترك الصلاة كفر)**. وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الذِينَ يَاكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىا ظُلْمًا اِنَّمَا يَاكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[النساء:10]، وقال: ﴿يَآ أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَاكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم

بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةٌ عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[النساء: 29] أي لا يقتل بعضكم بعضا فيجب عليه القود فيقتل نفسه، وقال: ﴿وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَالِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[النساء: 30]، وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: 275] وقال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ آَثِيمٍ﴾[البقرة: 276]، والكفار والكافر سواء، وقال: ﴿وَالذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ آَلِيمٍ﴾[التوبة: 34] ومثل هذا كثير من الوعيد لأهل الكبائر الذين ماتوا على كبائرهم مصرين، وأنتم الأشعرية قد أبطلتم الوعيد وقلتم: ذهب الوعيد في البيد، قلنا لكم: قال الله عز وجل: ﴿قَالَ لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[ق: 29] ولم تلتفتوا إلى هذا البيان.

ما ذهب بكم على أن أهل الكبائر مؤمنون ولو أتوا بجميع المحارم، من نكاح ذوات المحارم وشرب الخمور والسحر وترك الصلاة والزكاة وشهادة

الزور والحكم بغير ما أنزل الله والرشوة في الحكم، وكل هذا عندكم لا يخرج من الإيمان إلى الكفر، وقد مضى ما يثبت أنهم كافرون كفر نعمة ونفاق لا كفر جحود وإنكار، وذلك أن كفر الشرك هو المساواة لله بغيره، وكفر النعمة – نعمة الإسلام – وهو كفر المنافقين، ليسوا بمشركين لأن الله تعالى ذكر المنافقين في كتابه فقال: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَامُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[التوبة: 67] يعني الزكاة والنفقة في سبيل الله ﴿نَسُوا اللهَ﴾ أي تركوا أمر الله ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ من خيره وثوابه أي تركهم، والله تعالى لا ينسى، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

وأنتم تزعمون أن المنافقين ما كانوا إلا في زمان النبي عليه الصلاة والسلام وهم مشركون عندكم، والحاكم إلى ذلك تبريكم أهل الكبائر من كفر النعمة وكفر النفاق بعد النصوص وقال في آخر الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة: 68] وقال أيضا: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُومِنِينَ

وَالْمُومِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الأحزاب: 73] وقال أيضا: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنَ اَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[النساء: 88] لأن بعضهم قالوا: مؤمنون وبعضهم قالوا: كافرون، فسماهم الله تعالى بغير ما سموهم به، وكذلك في أول سورة البقرة و في سورة الحديد، وقوله عليه الصلاة والسلام: **(لا أخاف عليكم من مؤمن ولا من مشرك)** إلى قوله: **(ولكن أخاف عليكم من المنافق الذي يقول ما تقولون ويفعل ما تنكرون)**. وقوله عليه الصلاة والسلام في حلية المنافق: **(من إذا حدث كذب...)** إلى آخر الحديث، انظر كيف ميز المنافقين من المشركين ولم يجمعهم في الاسم جميعا، وقال تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لاَ إِلَىٰ هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَىٰ هَؤُلاَءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء: 143]، قال الحسن البصري: لا إلى المسلمين في الاسم والثواب، ولا إلى المشركين في الحكم والسيرة، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمُ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ

إِلاَّ قَلِيلٌ، إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: 38-39] ومثل هذا كثير.

مسألة الخلود

وأما مسألة الخلود وقد قلت في كتابك: بلغنا أيضا عنكم أنكم تقولون بتخليد العصاة أبدا في النار، وقد كذبتم الكتاب والسنة وإجماع الأمة إلى آخر كلامك، والعجب منك مرة تنسبنا إلى الكفر، وتارة إلى بغض الصحابة، وحينا إلى خلق الأفعال، وطورا إلى التكذيب فهذا من الأمر العجيب، وما هذا يفعل عاقل.

نعم، قلنا: بتخليد أهل النار في النار، وقال به كثير من فرق الأمة، ولو وقع إجماع الأمة على خروج أهل النار كما زعمت لسلمنا، وقد قال بالخلود الإباضية والخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم من فرق الأمة، إلا أنتم الأشعرية وإخوانكم المرجئة وبشر المريسي فانظر كثرة المخالف، وأنت تقول: كذبتم إجماع الأمة؛ واستمع ما يتلى عليك من الحجج الواضحة من الكتاب والسنة والعقل والقياس.

أما من القرآن فآي كثيرة منها قول الله عز وجل ردا على اليهود، ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[البقرة: 80] فرد الله عليهم، وقال: ﴿قُلَ اَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 80] ثم قال: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾[البقرة: 81] وهي الشرك فيما وجدنا في التفسير ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَاتُهُ﴾[البقرة: 81] وهي الكبائر فيما وجدنا أيضا: ﴿فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: 81] وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهاَ وَلَهُم عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[المائدة: 37] وقال: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهاَ﴾ وقال: ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[الزخرف: 77] أي مقيمون وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة: 68] فإن قال قائل هذه الآية في أهل الشرك خصوصا قيل له: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَّعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[النساء: 14]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَّعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ

أَبَدًا﴾[الجن: 23] وقال: ﴿وَالذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا –اخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَالِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[الفرقان: 68-69] فإن قالوا: هذه الآيات كلها في الشرك، قيل لهم: وكذلك النهي عن الكبائر إنما هو في أهل الشرك فلا يجد في ذلك فرقا، وقال: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوا أَنْ يَّخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[السجدة: 20] وقال: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ، يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ، وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ،﴾[الانفطار: 13-16] وقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[ابراهيم: 21] أي من مذهب ومخرج.

وأما من السنة فقوله عليه الصلاة والسلام: **(من كذب وأصر فهو مخلد في النار)**، وقوله عليه السلام في حديث الربيع: **(من قتل بعد العفو وأخذ الدية فهو في النار خالد مخلد أبدا)**. وقوله عليه الصلاة والسلام: **(من قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ في النار خالدا مخلدا**

أبدا، ومن تردى من جبل فهو يتردى في النار خالدا مخلدا أبدا) في أمثال هذه الأحاديث التي هي موافقة لكتاب الله عز وجل.

وعن الحسن عن كعب قال: وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه على كدية رمل فجلس إليها وبكى حتى بل لحيته فقلت يا أمير المؤمنين: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت أهل النار فقلت: لو جعل الله عدد كل حبة من هذا الرمل سنة يعذبون على حسابها ثم يخرجون من النار لطمعوا في الخروج يوما ما من الدهر ولكن لم يجعل الله لهم وقتا وما هم بخارجين منها أبدا.

وأما من العقل فإن أهل الكبائر لا يخلون من أحد ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إما أن يجمع لهم الثواب والعقاب معا فيكونوا معذبين في النار متنعمين في الجنة في حالة واحدة فهذا من أمحل المحال الذي لا يتوهم وجوده، أو يكون يقدم أحدهما على الآخر فيكون المقدم منقطعا زائلا والمؤخر متصلا دائما، فأيهما المتصل وأيهما المنقطع وكل ما أثبتوا من ذلك فهو دعوى بغير دليل.

الوجه الثاني: أن يكون أثابهم على بعض الطاعات وترك العقوبة على بعض المعاصي فهذا أيضا ساقط من المثاب لا يكون مثابا حتى يسقط عنه ما توعد الله عليه العقاب، وأما إذا كان معه بعض الكبائر فلا لأن ذلك تكذيب لخبر الله عز وجل.

الوجه الثالث: أن يكون المثاب ليس معه كبيرة فيكون حينئذ من المؤمنين وقد قال عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الْمُومِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾[الأحزاب: 47] ولم يقل عذابا أليما، وقال: ﴿إِنَّ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[الأنبياء: 101] وقال: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الاَخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[يونس: 62]، وإن كان كافرا شقيا فقد قال الله تعالى: " فَأَمَّا الذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: 106] وقال تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ، رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾[المومنون: 106-108] في أمثال هذا كثير من القرآن.

قال أبو طاهر عمنا اسماعيل رحمه الله: وأما ما احتجوا به من قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[هود: 108] فقال: إن أهل الكبائر من النار فإن هذا تقول وذهاب عن الظاهر لغير دليل وأيضا أهل التفسير اختلفوا فيها فقال بعضهم: إلا ما شاء ربك من الزيادة في الخلود وقيل: في العذاب، نظيره قوله تعالى: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾[النبأ: 30] وقال آخرون: إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[هود: 108] من مكثهم في الدنيا وقيل في البرزخ، وقيل: ما لبثوا في المحشر قبل أن يدخلوها، وأيضا فإنهم قد أجمعوا على أن في الآخرة مواقف يسأل الناس فيها من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[الصافات: 24] ﴿وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[الزمر: 71] فدل أن المجيء لا يجيء إلا بعد أوقات، وكل ذلك ﴿إِلاَّ مَا شَآءَ اللَّهُ﴾[الأنعام: 128] وهو الذي استثناه، فمن زعم غير ذلك فعليه الدليل، فلو كان في هذا ما يدل على الخروج لدل على خروج الإنس والجن أجمعين، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اِسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الذِي أَجَّلْتَ

لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَآ إِلاَّ مَا شَآءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام: 128]. وبالله التوفيق.

وأما قوله: ﴿لاَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾[النبأ: 23] فليس فيها دليل على الخروج أيضا لأنه قال ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا، لِّلطَّاغِينَ مَئَابًا﴾[النبأ: 21-22] إلى آخرها فهي عامة لجميع من دخلها من أهل الشرك و أهل الكبائر، فمن ادعى التخصيص فعليه الدليل، وأما تفسيرها فيما وجدت في كتب التفسير: أحقاب جمع حقب أي زمان لا غاية له انتهى.

قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: وما تعلقوا به من قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالاَرْضُ ﴾[هود: 107] فباطل من وجهين:

أحدهما: أن هذا تقوله العرب على الاستبعاد والتأبيد، كقولهم: لا أفعل هذا ما اختلف الجديدان، وما اختلف الليل والنهار، وما حنت الإبل، وما أقام الجبل، وما طرق طارق، وما دامت السماوات والأرض، وما طما البحر، هذا كله يريدون به التأبيد فخاطبهم الله بما يعقلون من كلامهم بينهم، وعليه في العربية شواهد جاهلية وإسلامية.

الثاني: أن الاستثناء الكائن في الآية مقرون بمثله من الاستثناء، أعني قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالاَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود: 108] فإن جاز أن يخرج أهل النار من النار بهذا الاستثناء جاز مثله في أهل الجنة ولا فرق، لأن الآيتين جاءتا مجيئا عاما، ولا أظن عاقلا يرد على الله سبحانه في كتابه ولا يكذب خبره وقد قال سبحانه في غير موضع من كتابه ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وقال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[الرعد: 35] فإذا بطل على أهل الجنة واستحال في حقهم الخروج منها بخبر الله الصادق، فقد بطل الاستثناء الذي تعلقوا به وما صاروا إليه، قال سبحانه ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُم عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[المائدة: 37] وقال: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُوا فِيهَا﴾[السجدة: 20] وقال: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾[الانفطار: 16] والاختلاف بين الأمة في العموم والخصوص، ولم أعلم أحدا قال بمثل هذه المقالة القبيحة غير جهم بن صفوان، وهو بمقالته هذه راد للمنصوص مواجه لخبر الله تعالى

بالتكذيب وقوله تعالى: ﴿لاَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾[النبأ: 23] قال قتادة أحقابا لا انقطاع لها، وقيل الهاء من قوله ﴿فِيهَآ﴾ عائدة على الأرض أي لابثين في الأرض، وقال بعضهم ﴿لاَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا، لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا﴾[النبأ: 23-24] أي يمكثون أزمنة يعذبون بهذا النوع من العذاب، ثم بعد ذلك يعذبون بغيره، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**الحقب ثلاثون ألف سنة**) وقيل: الحقب ثلاثمائة سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة من سنين الدنيا، وقيل: الحقب ثمانون سنة، كل سنة اثني عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم ألف سنة مما تعدون؛ وقال أبو هريرة: الحقب ستون سنة من سنين الدنيا وأيامها، وقال قتادة: هي أحقاب لا انقطاع لها كلما مضى حقب جاء بعده آخر، وقال الحسن: أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار. انتهى.

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي عثمان سعيد رحمه الله: يقال لمن زعم أن أهل الكبائر يخرجون من النار بعد إذ يدخلونها،

أيكون الذي يدخل النار ثم يخرج منها نصفه كافر ونصفه مؤمن، وذلك مؤمن كافر، وذلك أن النار لا يدخلها إلا الكافرون، قال الله تعالى: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الذِينَ كَفَرُواْ وَبِيسَ الْمَصِيرُ﴾[الحج: 72] وهذا الذي يدخل النار ثم يخرج منها إما أن يكون عدوا لله أو وليا له؛ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُومِنِينَ﴾[آل عمران: 68] ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62] ﴿إِنَّ الذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىَ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[الأنبياء: 101] ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[آل عمران: 185] وقال: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّومِنٌ﴾[التغابن: 02] وقال: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[هود: 105]، وهذا الذي يدخل النار ثم يخرج منها إما أن يكون شقيا فالشقي لا يدخل الجنة البتة، وإما أن يكون سعيدا فالسعيد لا يدخل النار البتة، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا ... وَأَمَّا الذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[هود: 106-108] وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الذِينَ كَفَرُوا إِلَىَ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[التوبة: 71] ﴿وَسِيقَ الذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[الزمر: 73] وهذا الذي يدخل النار ثم يخرج منها ،إما أن يكون تقيا فلا يساق إلى النار،

وإما أن يكون كافرا فلا يساق إلى الجنة، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ اوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الاشقاق: 07-08] ﴿وَأَمَّا مَنْ اوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيُصَلَّىٰ سَعِيرًا﴾[التوبة: 10-12] أيأخذ كتابين واحد منهما يدخل به النار وواحد يدخل به الجنة، ويكون وجهه أبيض أسود لأن الله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران: 106] وقال: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ، وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[النازعات: 37-41] اهـ.

الشفاعة

ولنرجع إلى ذكر شفاعة رسول الله ﷺ وقولك إن أهل النار يخرجون من النار بشفاعة الرسول عليه السلام فنقول وبالله التوفيق: إن الشفاعة عندنا حق لا شك فيها فمن أنكرها فهو مشرك لأنه راد للمنصوص من الكتاب والسنة، ولكنها للمؤمنين المطيعين دون أهل الكبائر من العاصين والفاسقين، لأن الله تعالى أخبر أن أهل الكبائر يخلدون في النار كما

تقدمت أدلته؛ ولا فائدة في إعادتها، فمن زعم أن الشفاعة لأهل الكبائر فقد زعم أنهم في الجنة، وأن جميع الأمة في الجنة وقد مضى الرد في ذلك، والدليل على أن الشفاعة ليست لأهل الكبائر من الكتاب والسنة؛

أما من الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[الأنبياء: 28] وقال: ﴿لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنَ اَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[طه: 109] وقال: ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[مريم: 87] بعمل صالح، وقال: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر: 18] وقال حكاية عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ، وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء: 100-101]، وقول الملائكة عليهم السلام: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[غافر: 07] وقال: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَّلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَّالِدِهِ شَيْئًا اِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[لقمان: 33]، أي لا يجزي والد أطاع الله عن ولد ضيع أمر الله شيئا، ولا مولود أطاع الله عن والد ضيع أمر الله شيئا، وقال: ﴿يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة: 254] وقال: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾[البقرة: 48] [البقرة: 123] في أمثالها من القرآن كثيرة.

ومن السنة ما رواه جابر بن زيد رحمه الله عن رسول الله ﷺ قال: **(ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي)**. ثم يحلف جابر بعد ذلك ما لأهل الكبائر شفاعة، لأن الله تعالى قد أوعد أهل الكبائر النار في كتابه، وعنه ﷺ أنه قال: **(لا ينال شفاعتي سلطان ظلوم غشوم ورجل لا يراقب الله في اليتيم)**. وقال عليه الصلاة والسلام: **(لا تنال شفاعتي الغالي في الدين والجافي عنه)**. أي الزايد فيه والناقص منه. وقال: **(صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: القدرية والمرجئة وهما ملعونتان على لسان سبعين نبيئا قبلي)**. وقال ﷺ لما قال الله له: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: 214] **(يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد ويا بني هاشم اعملوا لأنفسكم فإني لا أغني عنكم من الله شيئا، لا يأتي الناس بالدين وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون: يا محمدن فأقول هكذا: ألا إن أوليائي منكم المتقون)**.

وقال الله تعالى: ﴿يَانِسَآءَ النَّبِيءِ مَنْ يَّاتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[الأحزاب: 30] الآية. وقال في امرأة نوح ولوط: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[التحريم: 10] فكيف يطمع أهل الكبائر المصرون عليها مع هذا في شفاعة الرسول ﷺ، فنسأل الله تعالى بجوده وكرمه أن يجعلنا من أهل شفاعة نبيه عليه السلام، ولو علمنا أنها لأهل الكبائر ما سألنا الله أن يجعلنا من أهلها لأنا إذا سألنا الله أن يجعلناه ذلك فقد سألناه أن يجعلنا من أهل الكبائر حتى يعطيها لنا وبالله التوفيق.

قال الشيخ عمنا اسماعيل رحمه الله: فإن قال قائل إن المؤمنين قد أوعدهم الله الجنة في كتابه، فما حاجتكم إلى الشفاعة؟ قيل له: لأن الشفاعة زيادة في الثواب وتشريف في المنازل، وأيضا فإن المؤمنين تكون عليهم الذنوب و التباعات من قبل الأرحام والقرابات، ومن حقوق الجيران والأولاد والزوجات وما أشبه ذلك؛ ألم تر إلى قول الله تعالى حكاية عن المؤمنين ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم:

08] فأخبر أنهم يسألون إتمام نورهم وغفران ذنوبهم وهم يمشون على قناطر جهنم قبل دخول الجنة، ويدل ذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال: (**ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا بعمل صالح وشفاعتي ورحمة الله**)؛ وبالله التوفيق.

الوعد والوعيد

والوعد والوعيد خبران واقعان على الحقيقة لا يجوز الخلف في أحدهما لأنهما عمومان جاريان على عمومهما، فلا يكون الخبر بخلاف مخبره لأن ذلك لا يجوز عند الأصوليين في خبر الله، لأن ذلك لا يخلو من خمسة أوجه: إما أن يصح خبر الوعد ويبطل خبر الوعيد، أو يصح خبر الوعيد ويبطل خبر الوعد، أو يصحان جميعا أو يبطلان جميعا، فليس يصح في هذه الأوجه الأربعة شيء، وإما أن يجعل لكل واحد منهما حظا ونصيبا فربما كيف وقد قال تعالى: ﴿لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾[ق: 28]؛ وأما الآية التي استدللت بها من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُّشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ﴾[التوبة: 48] فلا دليل

فيها لأنها عامة وقد خصصت بقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[طه: 82] كما حكي عنه عليه الصلاة والسلام أنه سئل عن معناها ومعه ملأ من الصحابة فقال: (**أيكم يقرأ سورة طه؟ فقال: أبي بن كعب أنا يا رسول الله فقال: اقرأ علينا قوله تعالى: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾**[طه: 82]؛ **ففعل فقال عليه الصلاة والسلام: لهؤلاء وقعت المشيئة [ثلاثا]**). فأكد كلامه بالتكرير ثلاثا. والعموم يحمل على الخصوص عند الأصوليين، والعاقل لا يستدل بالعموم حتى يعلم أنه باق على عمومه، لأن أكثر العمومات قد خصصت، بل حكي عن بعضهم أنه قال: ما من عام إلا قد خص إلا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ والآية الكريمة معناها إن تاب.

قال الشيخ أبو يعقوب: فإن قيل تعليق التوبة بالآية لم يوجد ظاهرا ولا مضمرا قلنا: بل وجد ظاهرا ومضمرا؛ أما الظاهر فقول الله تعالى: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[طه: 82]. وأما المضمر فلأن التوبة في إزاحة المعاصي وبطلان العقاب عن المعاصي بلا توبة ولا

رجوع يدل على إباحتها، وليس لمغفرة المعاصي بالمشيئة لا بالتوبة طائل أشبه شيء بالإباحة انتهى. فلنقتصر على هذا القدر في هذه المسألة لظهور المراد بأقل منه لمن أراد الله إرشاده.

وقولك قد صحت الأحاديث المتواترة بخروج العصاة من هذه الأمة بشفاعته عليه السلام دعوى بغير دليل، فإن كنت صادقا فأنزلنا حديثا صحيحا مجمعا عليه، أو نص آية من كتاب الله عز وجل، كما قال أبو يعقوب رحمه الله: لا جرم أن من ادعى منهاج الحجة فعليه إيضاح الحجة.

مسألة الرؤية

وأما مسألة الرؤية: وقولك بلغنا عنكم أنكم تقولون: إن المؤمنين لا يرون الله سبحانه إلى آخر كلامك فهذه المسألة مما وقع الخلاف فيه أيضا بين الأمة، فادعاء الإجماع فيها وهم ظاهر، فالمثبت للرؤية أنتم الأشعرية ومن قال بقولكم وهم الأقلون، والنافي الإباضية بأسرها والخوارج كلها والمعتزلة بجميعها وهم الأكثرون ولكل دليل ومسند، فأدلة القائلين بنفي الرؤية كثيرة غير قليلة نطق بذلك القرآن وصحيح الآثار ومقتضى العقول.

أما القرآن فقول الله عز وجل: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الاَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام: 103] وقوله: ﴿لَن تَرَانِي﴾[الأعراف: 103]؛ قال الربيع بن حبيب رحمه الله "لن" من حروف الإياس عند النحويين.

وفي صحيح الآثار وما ذكر عن جبير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه أنه خرج ذات يوم فإذا برجل يدعو ربه شاخصا بصره إلى السماء رافعا يده فوق رأسه، فقال له أذكر ربك بإصبعك اليمنى واسأل بكفك اليسرى واغضض بصرك وكف يدك فإنك لن تراه ولن تناله، وقال الرجل ولا في الآخرة قال ولا في الآخرة، قال فما وجه قول الله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، اِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: 22-23] قال: ألست تقرأ لاَّ تُدْرِكُهُ الاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الاَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام: 103]. ثم قال وذلك أن أولياء الله تشرق وجوههم يوم القيامة، ثم قال ينظرون متى يأذن لهم ربهم في دخول الجنة بعد الفراغ من الحساب ثم قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾[القيامة: 24-25] يعني كالحة ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[القيامة: 25] أي يتوقعون العذاب بعد العذاب؛

و حُكي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في مسائل الرجل الشاك الذي سأله عن تفسير هذه الآية، قال معاذ رحمه الله بعد كلام معنى قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: 22-23] ينتظرون متى يأذن لهم ربهم في دخول الجنة، وليس يعني أنها تراه، ولا أن الأبصار تدركه، ولا أن العلم يحيط به، إلى آخر كلامه.

ورُوي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب ومحمد بن المكندر؛ وقال محمد: ما رأيت أن أحدا له عقل يقول إن الله يراه أحد من خلقه، وتلا هذه الآية إلى قوله: ﴿وَقَالَ الذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلآئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[الفرقان: 21] قال: أشركوا شركا عظيما، قال علي بن أبي طالب وابن عباس وعائشة أم المؤمنين ومجاهد وإبراهيم النخعي ومكحول الدمشقي وعطا بن يسار وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم وأبو صالح صاحب التفسير وعكرمة ومحمد بن كعب وابن شهاب الزهري: إن الله لا يراه أحد من خلقه؛ قال الربيع بن حبيب ومصداق ما قالوا جميعا في كتاب الله عز وجل ولغة العرب، وذلك أن الله عز وجل أخبر أنه ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: 11] فنفى عن نفسه أن تدركه الأبصار لأنه لو أدركته لكان قد ساواها، لأن كل مدرك محاط به محدود موصوف عز الله وجل عما انتحله المبطلون.

قال الشيخ أبو نوح: يقال لمن زعم أن الله يرى يوم القيامة: لا يخلو من أن يرى في جميع الأمكنة أو في مكان دون مكان، فإن قال له: في جميع الأمكنة فقد أتى بالمحال الذي لا يعقل وجعل البصر يشاهد المشرق والمغرب في حالة واحدة، وإن قال: في مكان دون مكان فقد جعله محدودا محاطا به، فإن قالوا: بعضه فقد جزءوه ولاشوه وجعلوه لا شيء، وإن سكتوا على الكل والبعض فقد باهتوا، ويقال لمن زعم أن الله يرى يوم القيامة بالعين فكيف ترونه؟ ذا لون أم غير ذي لون، فإن قالوا: ذا لون فقد صرحوا بالجسمانية ولوازمها من الأعراض، لأن اللون لا يقوم إلا في الجسم والتلوين عرض حال في الجسم، فإن قالوا: يرى غير ذي لون قيل لهم: كذلك أيضا تسمع الأذن غير الصوت وتشم الأنف غير الرائحة ويذوق الفم غير الطعم لأن ما جاز في حاسة جاز في أخواتها.

قال الشيخ أبو القاسم: ويقال لهم: أخبرونا عن هذه الرؤية أهي بحاسة البصر التي هي تدرك الألوان أم بحاسة أخرى غيرها؟، فإن قالوا: بهذه الحاسة؛ قلنا: فإذا لا ترونه إلا بجهة منكم، وإما فوقا وإما سفلا وإما مقابلا لكم والمرئي لا بد أن يكون بجهة من الرائي وهذا جلي واضح، وإن قالوا: يرى بحاسة أخرى غير حاسة البصر، قلنا: لا تخلو هذه الحاسة في معنى البصر مدركة للألوان أو تكون على خلاف ذلك، فإن كانت في معنى البصر ففي المسألة الأولى، وإن قالوا مخالفة لحاسة البصر مضادة لها قلنا: أراكم أردتم إثبات الرؤية بإبطالها واحتججتم للرؤية بحجة توجب زوالها، وقولكم هذا شبيه بقول من قال: شممت رائحة المسك بأذني، وذقت مرارة هذا الشيء بأنفي، وإن قالوا يرى بغير حاسة، فاعلم أن القوم عولوا على الاعتذار بعد العثار ورجعوا إلى تأويل أصحابنا في الرؤية وهو أن تكون بمعنى العلم؛

قال: ومما نسألهم عنه أن نقول لهم: أخبرونا عن قوله تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[الأنعام: 103] أهذه مدحة امتدح بها أم لا؟ فإن قالوا: لا، فقد جحدوا و صاروا من الذين قال الله فيهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ

أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل: 14] وإن قالوا: مدحة امتدح بها، قلنا لهم: هذه المدحة ثابتة له في الدنيا والآخرة، أم في الدنيا خاصة؟ فإن قالوا: في الدنيا خاصة فقد جعلوا مدائح الله عز وجل تزول عنه يوم القيامة، فنقول: يلزمكم أن يكون قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[الأنعام: 103] في الدنيا خاصة لأن الآية جاءت مجيئا عاما، وتكون على قولكم جميع مدائح الله يجوز زوالها في الآخرة مثل قوله: ﴿لاَ تَاخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[البقرة: 255] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: 11] وكذلك سائر المدائح لأن هذه مدحة وتلك مدحة، وإن قالوا: الزوال في هذه خاصة فلا حجة لهم، وإن قالوا: مدائح الله ثابتة في الدنيا والآخرة فهو ما نقول وبطل ما صاروا إليه.

ويقال لهم: أخبرونا عن رؤيتكم إياه، أفي مكان واحد فيكون محدودا محاطا به وأنتم إذا أعظم منه، لأن المحيط أعظم من المحاط به، أو في جميع الأمكنة فيكون ما رأيتم منه بالمشرق وغير ما رأيتم بالمغرب، وما رأيتم منه فوق غير ما رأيتم منه سفلا فيكون مبعضا مجزءا، أو تكون أبصاركم

تشاهد المشرق والمغرب في حالة واحدة، وهو الخروج من المعقول إلى المحال.

قال الشيخ أبو عمار رحمه الله: فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون الله سبحانه يرى في الآخرة؟ قيل له: أنكرنا ذلك لأنه لا يعدو من وجهين: إما أن يكون الله عز وجل تغير عن صفته وتحول عن ذاته حتى يكون مرئيا في الآخرة بعدما كان غير مرئي في الدنيا، فإن كان كذلك كان الله متحولا عن صفته إلى صفة غيره، أو يكون البصر هو الذي تغير عن معنى البصر، فإذا كان كذلك فإن الرؤية لا تجوز إلا للبصر، فإذا زال عن معناه وتحول إلى صفة غير البصر بطلت الرؤية واستحالت، فلما فسد هذان الوجهان فسد لفسادهما أن يكون الله عز وجل يُرى كما قال الجاهلون.

انتهى.

والكلام في هذا يطول لا يسعه القرطاس، والقائلون بالرؤية ليس لهم شفعة ولا لهم حجة، أقول عندهم من قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: 22-23] وقوله عليه الصلاة والسلام: (**ترون ربكم** ...)

الحديث فلذلك استدللت بهما في كتابك خاصة وهما محتملان كما تقدم، وما كان محتمل ساقط من يد المحتج به.

قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: ومما تعلقوا به قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: 22-23]؛ وقالوا: لا يجوز أن يكون النظر هاهنا إلا نظر العين، ولا تقول: نظرت إلى فلان إلا إذا أبصرته بعينك، ولا يجوز نظرت إلى فلان بمعنى انتظرته ، ولا بمعنى نظرت إلى كرامته، ولا إلى شيء سواه، وليس هو كذلك في شعر ولا في كلام فصيح. هذا قول النحاس وأبي محمد مكي في الأعربين؛ وفي المفسرين قالا في قوله تعالى في قصة بلقيس ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[النمل: 35] ولم يقل إلى م يرجع لأنه بمعنى الانتظار وكذلك قوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾[يس: 49] وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ﴾[الزخرف: 66] ولم يذكر إلى إلا في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: 22-23]؛ فعلمنا أنه إنما يريد نظر العين، فإنا نقول: فإذا زعمتم أن "إلى" لا تصحب النظر إلا إذا كان بالعين فأخبرونا عن قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾[آل عمران: 77] أهو نظر العين أم شيء آخر؛ فإذا قالوا هو النظر بالعين؛ قلنا: فالله تعالى إذا

يشاهد بعض الخلق دون بعض، فإذا قالوا: نعم؛ فقد أشركوا بالله العظيم، وإن قالوا: هذا النظر شيء آخر فقد بطل ما صاروا إليه، من أن إلى لا تصرف إلا نظر العين خاصة.

وكذلك نسألهم عن قوله تعالى:﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسُرَةٍ﴾[البقرة: 280] فإن قالوا: هو نظر العين فقد خرجوا من قول المفسرين كلهم، وإن قالوا: معناه فإنظار أو فانتظار، فقد بطل مذهبهم، وكذلك نشهد عليهم في هذا الموضع بيت حسان:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن تنتظر اللقاء

وقد ذكرت في كتابك أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن رؤية الله تعالى فأخبرهم أنهم يرونه كالشمس ليس دونها سحاب، فإن حملته على ظاهره فهو التشبيه نفسه، فأين أنت من قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: 11] وقوله: ويكون الله كالشمس مدورا مضيئا جسما في جهة دون جهة تعالى الله عن ذلك، وقولك بعد ذلك من غير تكييف لا ينفعك بعد التصريح فما أحسن قول القائل:

قد شبهوه بخلقه فتخوفوا شنع الورى وتستروا بالبلكفة

قال الشيخ أبو القاسم: ولم أعلم منهم منصفا سوى الغزالي أبي حامد في كتاب: (الاقتصاد في الاعتقاد) من بين سائر كتبه، فقف عليه تستفد منه ما يتضح لك به فساد القوم لتعلم أن الصواب ما قاله أصحابنا.

وكذلك حكي عن الفقيه عبد الرحمن بن علم في السنين الماضية أنه أشهد على نفسه علانية في ملئ من الناس وقال: أشهدكم أني لم أقل برؤية ربي غدا، وكذلك أشهد الفقيه محمد البرجي وهو على ما هو عليه من العلم، وقال إشهادا على نفسه على رؤوس الأشهاد من أهل وارجلان مالكية وإباضية عند وداعه إياهم مسافرا من عندهم إلى بلاد السودان: أشهدكم أني لست ممن يقول بالرؤية.

ومثل هذا قال أصحابنا ممن يوثق به، وإني لقيت فقيهين من المالكية فجرى بيننا كلام حتى قالا: كنا عند الفقيه أبي عبد الله محمد التوتي المشهور الساكن بحومة قصطالية فقال لنا في خلال بعض كلامه: إني لا أعتقد رؤية ربي غدا، قال: وكذا قال الشيخ أبو عبد الله في حياته في

شلف، وذكر غيره عنه أنه قال له: أنا من الإباضية مذهبا إن لم يعجبك حالي أرجع إلى ما تحب؛ قال: فقال لي لا؛ ما استمسك بالعروة الوثقى غيرهم.

وكذلك حكي عن الفقيه إبراهيم الغمري وهو القطب في زمانه وكان معه بعض إخواننا في زاويته، قال: قال لي طالب من طلبته ذات يوم: ارجع إلى مذهب مالك وإلا فانصرف بحالك، قال: فلما حضرنا بين يدي الشيخ فأخبره الطالب بدعوته؛ فقال الشيخ: صدق لك فلان، قال: فقلت له: أنت القطب والملجأ في الزمان، احمل أوزاري وتقلد عقائد ضمائري و أسراري فإني فاعل ولا أبالي، قال: فقال لي: اصبر حتى أجدد النظر؛ فلما افترق المجلس من الغد أشار إلي بالقعود، وقال لي بعد انصراف الطلبة: لازم ما أنت عليه.

ذكر هذا كله الشيخ أبو مهدي عيسى رحمه الله قال: فإذا كان هذا في عصرنا فكيف بالأوائل ولا سيما في أم المسائل فلذلك قلنا [لا] نقطع بالشر على أحد إلا إذا قطعه بنفسه، ولله در الشيخ إذ قال:

فنحن بنو الإسلام والله واحد فأولى عباد الله بالله من شكر

خلق القرآن

ولنرجع إن شاء الله إلى مسألة خلق القرآن فنقول والله المستعان وعليه التكلان: الأمة قد اختلفت في خلق القرآن وقِدَمِه اختلافا كثيرا جما، فذهب قوم إلى أنه أزلي قديم وهم المرجئة و الحشوية على اختلاف أنواعها وافتراق مذاهبها، وذهب آخرون إلى أنه محدَث مخلوق وهم الإباضية والمعتزلة والخوارج والشيعية على افتراق مذاهبها واختلاف أنواعها، وكل يحتج بزعمه ويستدل لمذهبه ويصوب رأيه ويُخطئ من خالفه ﴿فَرَبُّكُمُ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً﴾[الإسراء: 84] فنذكر الآن احتجاج القائلين بخلقه ليكون المستمع على بينة من أمره.

قال الشيخ أبو يعقوب: إن لأهل الحق عليهم أدلة كثيرة وأعظمها استدلالهم على خلقه بالأدلة الدالة على خلقتهم هم، فإن أبوا من خلق القرآن أبينا من خلقهم هم، وقد وصفه الله تعالى في كتابه وجعله قرآنا عربيا مجعولا منزولا مسموعا بالآذان مقروءا بالألسن مكتوبا في المصاحف

وفي صدور الذين أوتوا العلم، وليس لهم معول بعد العثور إلا الاعتذار بالغرور، وذلك أنهم نصبوا للكلام وللأمر والنهي والقرآن هيولا خيالا عن القرآن وهي العبارة عنه فما حاججناهم به من صفات الخلق الموجودة في القرآن، قالوا: صدقتم؛ غير أن ذلك يتوجه إلى العبارة عن القرآن لا نفس القرآن، قلنا لهم: إن الله يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف: 03] قالوا: العبارة عنه، قلنا لهم: قال تعالى: ﴿مَا يَاتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ﴾[الأنبياء: 02] قالوا: العبارة عنه، قلنا لهم: قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر: 01] و ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الاَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[الشعراء: 193-194] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ﴾[الإسراء: 82] قالوا: العبارة عنه، قلنا لهم بعد قول الله تعالى: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾[النساء: 166] قلتم: العبارة عنه لا هو؛ فمن يشهد لكم بهذا بعد أن كذبتم شهادة الله تعالى والملائكة، فيا سبحان الله من قوم أنكروا نزول القرآن مثل أهل الأوثان، ولو عرضوا بمثل ما هم فيه بمحمد ﷺ وجبريل الروح الأمين أنه لم ينزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنما نزل بالعبارة للقرآن،

وخيال جبريل هو الذي نزل على خيال محمد ﷺ ولم ينزل نحن أيضا علينا القرآن وإنما نزل على خيالنا، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾[الأنعام: 66] وأن القوم ما كذبوا بالقرآن وإنما كذب ضلالهم بالعبارة وهو الحق، فليس القرآن في نفسه بحق وإنما العبارة عنه هي الحق، وهي التي كذب بها خيال القوم وضلالهم، فمن كان بهذه الصفة فليسوا بالعقلاء الذين يخاطب الله عز وجل أمثالهم إلا إن تجاهلوا تعمدا.

واعلم أن خلق القرآن الذي أنكرت وقلت فيه ما قلت، خلقه لائح من معاني كلامكم ظاهر في جملة ديوانكم لا من عمى أو تعامى، قال أبو عمرو المقري: في كتاب الله تعالى ألف آية وعد، وألف آية وعيد، وألف آية أمر، وألف آية نهي، وألف آية مواعظ وأمثال، وألف آية قصص وأخبار، ومائة آية وعشرون حلال وحرام، ومائة آية دعاء وتسبيح، وست وستون آية ناسخ ومنسوخ، إلى آخر كلامه.

قال غيره: فإن قيل لك كم وجها أنزل عليها القرآن فقل سبعة أوجه: أمر ونهي ووعد ووعيد وأخبار وأمثال وأحكام، وفيه المكي والمدني والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمقطوع والموصول والوعد

والوعيد والمقيد والمطلق والخبر والاستفهام والإنذار والأعذار والحدود والأحكام والمواعظ والأمثال والقصص والأخبار والحجج والاحتجاج والله أعلم. أليست هذه سمات المبتدع وصفات المخترع فاتق الله وأنصف لأهل الحق.

قال الإمام محمد بن أفلح رضي الله عنهما: اجتمعت الأمة على أن القرآن كلام الله ولا يخلو هذا الكلام أن يكون شيئا أو ليس بشيء، فإن كان ليس بشيء فأنى اختلف فيه المختلفون وليس ثم شيء يختلف فيه مختلف أو ينازع فيه متنازع، ولو صح أنه ليس بشيء لبطل أن تكون رسل الله جاءت بشيء، أو أن يكون الله عز وجل أنزل على أنبيائه شيئا، ولبطل أن يكون ثم توراة أو إنجيل أو فرقان، فإذا ثبت كلام الله شيء لم يخل هذا الشيء من أحد ثلاثة أشياء: إما أن يكون هو الله أو بعض الله كالجزء من الكل، وأن يكون غير الله، ليس ثم وجه رابع يذهب إليه ذاهب، أو يقوله قائل، إلا من ركب اللجاج وحاد عن طريق الحق، وليس لهم مذهب إلا أن يقولوا هو الله، ضاهوا بذلك اليعقوبية من النصارى

الزاعمة أن عيسى هو الله، فيلزمهم في زعمهم أن يكون الكلام هو المعبود المتكلم السميع البصير القادر الباعث الوارث إله الدنيا والآخرة.

قال الشيخ أبو مهدي رحمه الله: نقول لمن أنكر أن يكون القرآن مخلوقا؛ أمنزول أم غير منزول؟ فإن قال: غير منزول فقد كفر لنصوص كثيرة في القرآن، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلاً﴾[الإنسان: 23] فأكد بالمصدر الفعل وحققه حتى لا يحتمل مجازا أصلا، وإن قال: منزولا فنعم، فنقول له: من أنزله؟ فإن قال: غير الله فقد كفر، ورد نصوص القرآن أيضا، وإن قال: أنزله الله؛ فنقول له: أنزل الله نفسه أو غيره فهنالك تصير حججهم هباء منثورا.

قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: لعمري لقد أنكروا نزول القرآن صراحا ولقد رأيت ذلك في تأليف لابن العسال من المشهورين المؤلفين الزاهدين الواعظين عندهم فقال في كتابه: جاء الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(أنزل الله القرآن كله جملة واحدة وجعله في بيت العزة في السماء الدنيا، فكان ينزل على النبي عليه الصلاة والسلام نجوما)**،

فاختلف جواب شيوخنا في هذا فقال بعضهم: القرآن نزل ونزوله مجاز، وقال بعضهم: إنه لم ينزل القرآن؛ فهل عجب أعجب من هؤلاء الذين كذبوا قول الله عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلاً﴾[الإنسان: 23] وردوه.

قال أبو المعالي: اعلموا أن كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف حقيقة، مقروءا بالألسن محفوظ في الصدور، ثم الكتابة حادثة، والرق حادث، والقلم والحبر وأدوات الكتابة حادثة، والمكتوب كلام الله القديم والقراءة حادثة، والقارئ في حادث والمقروء كلام الله الموصوف بالقدم.

أنظروا هذا التناقض كيف يقع جمع أقوالهما بل تجتمع تارة وتفترق أخرى، تقدس البارئ جل وعلا عن جميع صفات الورى، ونسأله أن يعيذنا من أسباب الردى، ويجنبنا أن نكون ممن يعالج الداء لا بالدواء ولا يفضحنا على رؤوس الأشهاد، ولا يجعلنا من أهل الإلحاد إنه ولي الإرشاد.

قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: فإن قال ما الدليل على خلق القرآن؟ قلنا: هو الدليل على خلقك أنت أيها السائل، فإن كان القرآن غير مخلوق فأنت أيضا غير مخلوق، وإلا فجميع آثار الصنعة الموجودة فيك

الدالة على خلقك موجودة فيه دالة على خلقه، ومن الدليل على خلقه أن الله سبحانه سماه قرآنا عربيا، وسماه قول رسول كريم، وسماه حديثا ومنزلا ومحدثا ومجعولا، وجعله سورا معدودة، وآيات بينات، وآيات مفصلات، وآيات محكمات، وآيات متشابهات، وجعل فيه ناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها، وجعل بعضه أفضل من بعض، وبعضه غير بعض وجعله مسموعا بالآذان، متلوا بالألسن، مفهوما بالقلوب مكتوبا في المصاحف، وجعل فيه مكيا ومدنيا، ومقطوعا وموصولا، فهل هذه الصفات كلها وهذا التغاير كله لا يدل على خلقه؟.

قال الإمام رضي الله عنه: ثم لا يخلو هذا الكلام بعد كونه شيئا من أحد وجهين: إما أن يكون شيئا قديما، أو شيئا محدثا، فإن كان شيئا قديما فكيف يكون قديم مع الله سبحانه وهو غيره؟، فمن أولى بالربوبية من القديمين حينئذ؟؛ ومن أحق بالألوهية منهما وهما قديمان متغايران؟؛ قال: ثم لا يخلو هذا القديم أن يجوز عليه الفناء أو لا، فإن قالوا: لا يجوز عليه الفناء نقضوا وواجهوا بردّ القرآن، قلت: يريد الإمام رضي الله عنه بقوله

هذا قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ﴾[الإسراء: 86] فأجاز عليه الذهاب والفناء، أتراه سبحانه يذهب بنفسه أو بصفته.

قال الإمام رضي الله عنه وإن قالوا: يجوز عليه الفناء فكيف يكون قديما لا أول له، له آخر، ومن لا أول له فلا آخر له، ومن له آخر فله أول، فلما بطل أن يكون القرآن قديما مع الله وهو غيره صح أنه محدث، فإذا كان محدثا فلا بد له من محدِث أحدثه وتولى تدبيره، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَاتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ﴾[الأنبياء: 02] فوصفه عز وجل بالحدث، فصح أن المحدث غير القديم، وأن القديم هو المعبود والمحدث هو المخلوق المحتاج إلى من أحدثه وألفه.

قال الشيخ أبو القاسم رضي الله عنه: الجواب القاطع عندي لجميع مقالاتهم أن يقال لهم: أخبرونا عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلاً﴾[الإنسان: 23]؛ فمن المنزِّل وما المنزَّل فلا بد أن يقولوا الله سبحانه هو المنزِّل، فيقال لهم لا يخلو من أن يكون نزل نفسه أو نزل غيره ولا ثالث إلا التهويلات الكاذبات والتطويلات الفاسدات، فإن قلتم نزل نفسه فهو إذن منزِّل من وجه ومنزَّل من وجه آخر فاعل من وجه ومفعول

من وجه آخر تعالى الله وتقدس عن هذه الصفة الذميمة، ثم ما يلزمهم بعد هذا كله من الإلزامات مثل البعض والكل والانتقال من مكان هو فيه إلى مكان ليس هو فيه، والمجاز في النزول قد قطع الله فيه عذرهم وبين ضلالهم، فقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلاً﴾[الإنسان: 23] فأكد بالمصدر الفعل وحققه حتى لا يحتمل مجازا، وإن قالوا: إنما نزل غيره وهو القرآن، وقد أقروا بخلقه.

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي عثمان: والذي قال بقدم القرآن إنما أدخل عليه اللبس أبو شاكر الديصاني من الديصانية وهم قوم من الدهرية الذين أنكروا حدوث العالم، وذلك أنه دخل جامع البصرة فوجد فيه المسلمين حلقا كثيرة بعضهم في التفسير، وبعضهم في الحلال والحرام، وبعضهم في العربية، وبعضهم في الكلام وفي الديانة وفي كل فن، فهاله ذلك لما رأى من حذقهم وفهمهم وعلمهم حسدا لأهل التوحيد، فأراد أن يفسد عليهم، فتأمل الحلق فلم يجد حلقة أضعف قلوبا وألين عريكة لأنهم لا أصل لهم مقيد إلا التقليد بالرجال، إلا أصحاب الحديث والروايات، فدخل معهم فمكث معهم زمانا كلما ذكروا النبي عليه الصلاة والسلام قال: ﷺ وشهق

وبكى وانتحب، فأراهم من الورع والزهد شيئا كثيرا، فلما تمكن فيهم، قال لهم: يا إخواني تعالوا نعتزل هؤلاء القوم ليلا يدخل علينا من أجلهم شيء، فقالوا ومالنا وإياهم نحن على حدة وهم على حدة، أو كما قالوا بينهم، فلزم نفسه عنهم وقعد في قعر بيته فلما فقدوه من بينهم قالوا: أين أخونا الزاهد فلان تعالوا نصل إليه، فإن كان مريضا [عدناه] وإن كان عائلا واسيناه، فأتوه فوجدوه قاعدا في قعر بيته، فقالوا: ما ألزمك عنا فبكى وشهق وانتحب فقال يا إخواني: أليس قد طلبتكم أن تنبذوا عن هؤلاء القوم لئلا يلحقنا منهم شيء، وقد أتيت إلى حلقة حماد بن سليمان فسألته عن القرآن فقال: وما أقول في القرآن؟ القرآن مخلوق، فعمد يا إخواني إلى كلام الله الذي خرج منه وإليه يعود، فقال: مخلوق؛؛ فمن ثم ورثهم الخطأ فأصاب فيهم ظنه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُومِنِينَ﴾[سبأ: 20]. انتهى.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبيّ بن كعب: (**أي آية في كتاب الله أعظم؟**) فقال له أبيّ: آية الكرسي؛ فقال عليه الصلاة والسلام: (**أبا المنذر**

إن لها لسانا وشفتين، تقدس الله تعالى تحت العرش، أفترون أنها تقدس خالقها).

وقوله عليه الصلاة والسلام: (**إن الله خلق طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألفي عام**). ومثل هذه الأحاديث كثير مما يدل على خلقه، تركنا ذلك طلبا للاختصار، والفاهم الذكي يفهم بمثال واحد ما لم يفهمه البليد بألفي شاهد.

وقولك في كتابك: بلغنا عنكم أنكم تقولون بخلق القرآن إلى قولك وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما ادعاؤك إجماع الأمة على قدمه فباطل لكثرة المخالف كما تقدم؛ وأما قولك: دل عليه الكتاب والسنة، فإن كنت صادقا فأنزلنا آية منصوصة من كتاب الله أو حديثا صحيحا من سنة رسول الله ﷺ يدل على قدمه، ولن تجد ذلك إن شاء الله، ولستَ أعلم من أسلافك حتى تطلع على ذلك دونهم، لأنه قد روي عن بعض علمائكم المتقدمين غاب عنا اسمه إلا أنه قال: ما ثبت حديث عن رسول الله ﷺ يدل على قدم القرآن ولا على خلقه، فما وجه ادعائك

أنت ذلك، والدعوى بغير حجة بينة مردودة بإجماع، فكيف بهذه المسائل الأصولية فإن الحق فيها في واحد ومع واحد، ولا يسع الخلاف دون المسائل الفرعية، فإن الخطأ فيها محمول.

وقولك: فالقرآن كلام الله حقا صدقا، والمعنى القائم بذاته سبحانه الدال على كل معلوم قديم كذاته وسائر صفاته، ليت شعري ما هذه الكاف الدالة على التشبيه المحض الذي نفاه الله عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: 11] وقد أثبتت بقولك هذا قدماء كثيرة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقد نفى الله ذلك عن نفسه بقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المومنون: 91] وبقوله: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾[الفرقان: 02] وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: 163]. وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: 22] إلى غير ذلك.

وقولك: ليس بحرف ولا صوت وليس فيه تقديم ولا تأخير، ولا يطرأ عليه سكوت ولا تغيير. تناقض بيّن لا يخفى على ذي عقل لأنك حين نفيت

عنه هذه الصفات فقد نفيت كونه كلاما، لأن الكلام لا يكون إلا كذلك بإجماع الأمة، وقد نقضت الأصل المجتمع عليه، وقد أجمعت الأمة وجميع الأمم أن الكلام لا يكون كلاما حتى يكون صوتا مقطعا، والتقطيع فيه قائم وما كان على غير ذلك فليس بكلام؛ وأجمعت الأمة على أن القرآن كلام لقوله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 06]، وقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ﴾[البقرة: 75]؛ وقولك: ولا يطرأ عليه سكوت ولا تغيير، وصفت الكلام بصفة المتكلم، لأن السكوت من صفات المتكلم لا من صفات الكلام فهذا عجب؛.

ومما احتج به من قال القرآن قديم وليس بمخلوق أن قال: لا يخلو خلق كلامه من أحد ثلاثة أشياء: إما أن يكون خلقه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه لا في نفسه ولا في غيره، فإن قال خلقه في نفسه فقد جعل نفسه محلا للحوادث، فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وإن كان خلقه في غيره فهو إذا متكلم بكلام غيره فهو محال أن يكون، وإن كان أيضا خلقه لا في نفسه ولا في غيره فهو أيضا محال لأن الصفة لا تقوم بنفسها وإنما تثبت في الموصوف، فلما بطلت هذه الأوجه الثلاثة صح أنه متكلم بكلام نفسه.

قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله ويقال له: أما ما قلت: من أنه لا يخلقه في نفسه لئلا يكون محلا للحوادث فصحيح، ولم نقل لك خلقه في نفسه، وأما قولك إذا خلقه في غيره فهو إذا متكلم بكلام غيره فدعوى، فتحكم فيما أردت بغير حجة ولا برهان، وغير مسلم لك ذلك، بل نقول لك: قد خلق الله سبحانه من صدإ الجبل ومن تصفيق الحجرين كلاما، ولا يسمى كلام الجبل وكلام الحجرين بل هو كلام الله سبحانه، وكذلك القرآن يكتب في الألواح وفي المصاحف، وبما يخلقه الله سبحانه فيها، ولا يسمى كلام اللوح ولا كلام المصحف، بل هو كلام الله ومن فعله في غيره فهو المتكلم به دون من حلَّ فيه، وإن قالوا: حيث زعمتم أنه فعله في غيره فأين ذلك الغير الذي فعل فيه القرآن، قلنا: حيث شاء الله سبحانه وحيث أراد، والخلق كله بعضه محل بعض، ويقال لهم أين محل الروح قبل خلق الجسم، و أنتم تقولون بخلقه، فإن قالوا فيه شيئا فقد تقولوا على الله سبحانه فيما رد علمه إليه. انتهى.

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

الفهرس

ترجمة المؤلف 03
مقدمة 07
العقيدة الإباضية 14
مسألة الصحابة 27
مسألة خلق الأفعال 29
مسألة الخلود 42
الشفاعة 52
الوعد والوعيد 56
مسألة الرؤية 58
خلق القرآن 69